جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية قسنطينة – الجزائر
ISSN: 1112-4377, EISSN: 2588-2384
المجلد: 29 العدد: 4 السنة: 2025
مجلة المعيار
EL MIEYAR

الحرب بين إنشائها وإنهائها في اليهودية والمسيحية والإسلام
– دراسة نصوصيَّة مقارنة بين التوراة والإنجيل والقرآن الكريم–

War between its creation and its end in, Judaism, Christianity and Islam
-A Comparative Textual Study between the Torah, the Bible and the Holy Quran-

الدكتورة: سلمى بوقفة[1]
k.bougouffa@univ-emir.dz

أ.د محمَّد بودبان[2]
m.boudebbane@univ-emir.dz

تاريخ الاستلام: 2025/01/30 تاريخ النشر: 2025/09/15
Received: 30/01/2025 published: 15/09/2025

ملخص المقال :

يبحث هذا المقال في إشكالية إنشاء الحرب وكذا إنهائها في المنظور الديني لليهودية، المسيحية والإسلام؛ من خلال نصوصها الدِّينية المقدَّسة: التناخ، الكتاب المقدَّس، والقرآن الكريم؛ والغاية من هذا البحث بيان الفروق بين الديانات الثلاثة.

ولتحقيق تلك الغاية فإنَّنا حاولنا استقراء نماذج من النصوص في الديانات الثلاثة، واستخلاص ما تضمَّنته من دلالات ترسم قدر الإمكان كيفية إنشاء الحرب؛ وما السبيل إلى إنهائها وإحلال السلام؛ وقد تمَّ رصف نتائج البحث وفق أربعة مناحٍ منهجية: من حيث سؤال المشروعية، من حيث أخلاقيات الحرب، من حيث دوافع الحرب ثم من حيث سبيل إنهاء الحرب.

كلمات مفتاحية: الحرب، السلام، التناخ، الكتاب المقدس، القرآن الكريم.

Abstract:

This article try to show up how to establish war and how to end it ; from the religious perspective of Judaism, Christianity and Islam; through their sacred religious texts: the Tanakh, the Bible, and the Holy Quran.

We aim to show the differences between the three religions ; therfore, we tried to extrapolate models of texts in the three religions, and extract the deep meanings.

The results of this research were arranged according to four methodological axes: in terms of the question of legitimacy, in terms of the ethics of war, in terms of the motives for war, and then in terms of the way to end it.

Keywords: War; Peace; Torah; Bible; Quran.

(1) مخبر البحث في حوار الحضارات والأديان، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية/الجزائر.
(2) مخبر البحث في العقيدة ومقارنة الأديان، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية/الجزائر.

مقدّمة:

إذا كانت الحربُ كظاهرةٍ تتمظهرُ في حادثاتٍ – هي المعارك والاقتتال- لها أسبابٌ تُحدِثُها –الظاهرةُ والأحداثُ جميعًا- فلا بدَّ كذلك من أسبابٍ لإنهائهما. الحربُ كظاهرةٍ فيها جدليَّةٌ في إنهائها؛ وأمَّا المعارك الحادِثاتُ فيمكن إنهاؤها حين توافُرِ أسبابٍ تتحقق بها السببية للإيقاف. وعلى ذلك نفترض في الحرب الدِّينيَّة أن تكون أسبابُ قيامها أوضحَ من سائر الحروب – وكذلك الشروط في وقفها نوعًا ما- ولكنَّنا فيما يتعلَّق المعارك في السياق التَّاريخي فنفترضُ فيها اختلاطَ الدنيويّ بالمقدَّس؛ وتبعًا لذلك تتعقَّدُ عمليَّاتُ إيقافها ولا بدّ.

الحربُ – كظاهرةٍ- يُنظَرُ التَّأصيلُ لها في النَّصِّ الدِّينيّ؛ المعارك –كحوادث- يُنظَرُ إليها كتطبيقاتٍ بشريَّة للنَّصِّ الدِّيني – مع استثناءاتٍ ولا بدَّ-. هذا الطرحُ يتوضَّحُ أكثرَ في الجانب الإسلاميّ؛ ويبتعدُ شيئًا فشيئًا كلَّما تميَّعت المفاهيم حول الوحي؛ أو أصابَ معالمَ النَّصِّ المقدَّس ضبابيَّاتُ المصدريَّة أو سلطانَها.

سوف ننطلقُ في تجلية المقصود في بحثنا بظاهرياتيَّة قدر الإمكان؛ ترمي إلى استقراء النَّصِّ الدِّينيّ في الأديان الثلاثة مع الاستعانة بأقوال علمائهم بما يجلِّي الفهم والحكم على تلك النُّصوص؛ وإنَّما ذلك بحسب الوسع، إذ لا يمكننا تحديد الفهوم والأحكام في ظلال تعدُّد الفرق والطوائف، وتطوُّر الفهوم بتطوُّر الزمان، أو اختلاف المكان أو الأحوال بين القوَّة والضعف أو التكافؤ بينهما في السيرورات التاريخية لكلِّ أمَّةٍ. وهذا غايةُ الدراسة النُّصوصيَّة من محاولة تحديد أصل المفاهيم والأحكام؛ وهي تُعينُ بعد ذلك في تتبُّع التطوُّر أو التغيُّر داخل دائرة التَّاريخ إن صحَّ التعبير.

1. الحرب في اليهودية بين دو افعها وإنهائها من خلال نصوصها الدِّينيَّة

كلمة الحرب في اللغة العبرية هي: مِلخماه מלחמה ، التي تقابل في العربية لفظا ومعنى كلمة مِلحماه، التي يتراوح معناها العبري ويقرن مع ألفاظ كالحرب، معركة، قتال، كفاح، صراع. لفظ مِلحماه العبري מלחמה، هو اسم مفرد مؤنث في لغتهم، وجمعه ملحموت מלחמות بمعنى معارك، حروب، قتال. (بن شوشان، 2010، صفحة 524).

ويمكننا أن نرسم من خلال نصوص التناخ الآتي:

1/ في التناخ الذي هو الكتاب المقدَّس لدى اليهود – وهو اختصارٌ مكوَّنٌ من الأحرف الأولى للثلاثة الأصناف المكوِّنة للكتاب المقدَّس اليهودي: "**توراه תורה**"؛ "**نيفيئيم נביאים**" (الأنبياء)، "**كوتوفيم כתובים**" (المكتوبات)؛ وأمَّا لفظ: "**العهد القديم**" فهو مصطلحٌ مسيحيٌّ – (Telushkin, 2007, p3) يُرى فيه القتالُ ضرورةً شرعيَّةً، ويفرِّق بين القتل بحقٍّ، وبين القتل جريمةً؛ "ففي الوصيَّة السادسة من الوصايا العشر: « لا تقتل» يقول الرابي **Josef Telushkin** : إنَّه يعبَّر عنها في العبريَّة بكلمتين: "**Lo Tirtzakh** לא תרצח" وأغلب التَّرجمات الإنجليزية تقابلها بـ: "**You shall not kill**"؛ ودعاة السلام المناهضون لعقوبة الإعدام يستدلُّون بهذه الفقرة لدعم مواقفهم. المشكلة الوحيدة ههنا أنَّ الكتاب المقدَّس يرفض

السلميَّة، وينصُّ على عقوبة الإعدام، وخاصَّةً حين تكون عقوبةً على القتل بغير حقٍّ "**Murder**". وعلى الرُّغم من أنَّ الكتاب المقدَّس يمقت العنف غير الضروريّ، غير أنَّه يشرّعه مثل كلّ مجتمع قديمًا؛ ومنذ ذاك الحين وهو يميّز بين القتل بحقٍّ وبين القتل جريمةً. (Telushkin, 2007, p42).

وفي التلمود (Sanhadrin 72 A) (Telushkin, 2007, p42): « **إن جاءك أحدهم يريد قتلك؛ فاقتله قبل أن يقتلك**». وهو أمرٌ لا غبار ولا شائبة به؛ وهو متعلّق بالقتل، والقتال تبعٌ له.

2/ الحروب اليهودية تكنى باسم الإله باعتباره القائد الأعلى للشعب:

« **وَاصْفَحْ عَنْ ذَنْبِ أَمَتِكَ لأَنَّ الرَّبَّ يَصْنَعُ لِسَيِّدِي بَيْتًا أَمِينًا، لأَنَّ سَيِّدِي يُحَارِبُ حُرُوبَ الرَّبِّ، وَلَمْ يُوجَدْ فِيكَ شَرٌّ كُلَّ أَيَّامِكَ**» (1صم:25-28.).

3/ في عصر الآباء – أي قبل موسى عليه السلام- نجد في سفر التكوين أنَّ الحرب تبتدي بوعد الرب وانتهاؤها يكون به؛ الوعد والعهد أعطِيَ لإبراهيم عليه السلام الذي كان اسمه: "أَبْرَام" ثمَّ أسماه الربُّ إبراهيم بعد العهد: « **وَقَالَ الرَّبُّ لأَبْرَامَ: اذْهَبْ مِنْ أَرْضِكَ وَمِنْ عَشِيرَتِكَ وَمِنْ بَيْتِ أَبِيكَ إِلَى الأَرْضِ الَّتِي أُرِيكَ. فَأَجْعَلَكَ أُمَّةً عَظِيمَةً وَأُبَارِكَكَ وَأُعَظِّمَ اسْمَكَ، وَتَكُونَ بَرَكَةً. وَأُبَارِكُ مُبَارِكِيكَ، وَلاَعِنَكَ أَلْعَنُهُ. وَتَتَبَارَكُ فِيكَ جَمِيعُ قَبَائِلِ الأَرْضِ**» (تكوين 12: 1-3).

4/ تبعًا لفكرة العهد والوعد الرئيسية المؤصَّل لها في سفر التكوين؛ كان طرد الشعوب الوثنيَّة من أمام شعب الرَّبّ تحقيقًا واجبًا للإرادة الإلهية. نجد ذلك في تدمير الرَّب سادوم وعامورة [(Baumann, 2010, p67) حتَّى إنَّه أصبحت سدوم وعمورة مثالين على الإثم السادي، وضُرِبَ مثل الانتقام الإلهي على ما حل بهما من دمار] وصُوغر وعقابهم في زمان إبراهيم عليه السلام؛ ثمَّ في زمان موسى الحروب – أو المناوشات- مع شعوب كنعان ثمَّ استكمال يوشع بن نون المسيرة بعد وفاة موسى عليه السلام؛ تحقيقًا لإرادة الربّ ولا ينبغي التقاعس عن ذلك أو التخاذل إلى تحقيق الهدف من إبادة رجس الوثنية. وفي سفر الخروج نقرأ: «**حِينَئِذٍ يَنْدَهِشُ أُمَرَاءُ أَدُومَ .أَقْوِيَاءُ مُوآبَ تَأْخُذُهُمُ الرَّجْفَةُ .يَذُوبُ جَمِيعُ سُكَّانِ كَنْعَانَ .تَقَعُ عَلَيْهِمِ الْهَيْبَةُ وَالرُّعْبُ .بِعَظَمَةِ ذِرَاعِكَ يَصْمُتُونَ كَالْحَجَرِ حَتَّى يَعْبُرَ شَعْبُكَ يَارَبُّ .حَتَّى يعبر الشعبُ الَّذِي اقتنيته. تَجِيءُ بِهِمْ وَتَغْرِسُهُمْ فِي جَبَلِ مِيرَاثِكَ، الْمَكَانِ الَّذِي صَنَعْتَهُ يَا رَبُّ لِسَكَنِكَ الْمَقْدِسِ الَّذِي هَيَّأَتْهُ يَدَاكَ يَا رَبُّ**» (خروج: 15-17).

وكان الدافع على هذا الطرد بعضُ الآتي:

1. هؤلاء الشعوب كانوا يقدمون أولادهم في النار قرابينَ للآلهة الوثنية.
2. وكانت النساء تكرّسنَ أنفسهنَّ للزنى في هياكل الأصنام وتسمى "قديشه".
3. وكانوا يفعلون الشرَّ ذكورًا بذكور، وإناثًا بإناثٍ؛ وأيضًا بالحيوانات والأطفال؛ هذا بالإضافة إلى خطايا أخرى كثيرةٍ. (Jordan, 1999, p95).

5/ الحرب أحيانًا تكون بتدخُّل الرب بشكلٍ إعجازيّ كذلك على أعداء شعب إسرائيل، وبشتى الجنود من عندِهِ: «**وَالزَّنَابِيرُ أَيْضًا يُرْسِلُهَا الرَّبُّ إِلهُكَ عَلَيْهِمْ حَتَّى يَفْنَى الْبَاقُونَ وَالْمُخْتَفُونَ مِنْ أَمَامِكَ. لاَ تَرْهَبْ وُجُوهَهُمْ، لأَنَّ الرَّبَّ إِلهَكَ فِي وَسَطِكَ إِلهٌ عَظِيمٌ وَمَخُوفٌ. وَلكِنَّ الرَّبَّ إِلهَكَ يَطْرُدُ هؤُلاَءِ الشُّعُوبَ مِنْ أَمَامِكَ قَلِيلاً قَلِيلاً، لاَ تَسْتَطِيعُ أَنْ تُفْنِيَهُمْ سَرِيعًا، لِئَلاَّ تَكْثُرَ عَلَيْكَ وُحُوشُ الْبَرِّيَّةِ. وَيَدْفَعُهُمُ الرَّبُّ إِلهُكَ أَمَامَكَ وَيُوقِعُ بِهِمِ اضْطِرَابًا عَظِيمًا حَتَّى يَفْنَوْا**» (تثنية: 20-23).

6/ ورد في التناخ الدعوة إلى الصلح قبل شنّ الحرب وقتال العدوّ؛ ولكنَّه ليس كما في الإسلام فإلى جانب تحدث الأسفار اليهودية عن نهاية الحرب كعلاقة ربطت اليهود بالشعوب المجاورة، ذكرت كذلك عرض السلم والمعاهدات كحل لطلب الاستقرار في المنطقة وهي عملية ذكرت في مواضع نحوُ قولهم: « **حِينَ تَقْرُبُ مِنْ مَدِينَةٍ لِكَيْ تُحَارِبَهَا اسْتَدْعِهَا إِلَى الصُّلْحِ**» (تثنية 20: 10). ولكن مفهومُ الصلح هو استعباد الآخر وإذلاله وتسخيره لخدمة الشعب المختار.

وإذا رجعنا إلى القانون الموضوع في سفر التثنية المحدِّدِ لشروط الصلح والمعاهدات مع الآخر، فإنَّه إذا قبلت الدولة الصلح بدلا عن احتدام القتال؛ (ظاظا، عاشور، 1975، صفحة 201)" في حين كان الرفض موقف المدينة، فللجيش اليهودي مهاجمة المدينة وحرمُهَا". ويزيد القمص" تاودرس يعقوب ملطي "، شرطا هو: جحد العبادة الوثنية والدخول في عبادة الإله. (تاودرس، دت، صفحة 25).

7/ وردت نصوصٌ كثيرةٌ حين نتتبَّع في التناخ التَّاريخ المقدَّس لبني إسرائيل؛ ونرى الإصحاحات والفقرات الكثيرة في قتال وقتل الآخر، نجدنا أمام فظائعَ وشناعاتٍ؛ حيث إنَّه مذكورٌ في كتبهم أنّ الله تعالى يبارك قتل النّساء والأطفال والبهائم، وسفر يشوع خير الأمثلة التي تُضرب في ذلك؛ حتَّى إنَّ أحد العلماء المسيحيّين قال (كامل، 1968، صفحة 59): «وهناك بعض المسائل في سفر يشوع تحيّرُ القارئ؛ منها أمر الله بإهلاك الكنعانيّين. والله الرؤوفُ الرحيمُ، الآب المحبُّ، لا يرتضي أن يهلك شعوبًا بأكملها».

وقد ورد في هذا السِّفرِ مثلا: « **لأنّ الرّب قد أعطاكم المدينةَ، فتكونُ المدينةُ وكلُّ ما فيها محرَّمًا للرّب**» (يشوع : 6: 16-17)؛ – مع ملاحظة أنَّه (خلف، 2009، صفحة 50، 51): "كان "الحرام" كلَّ ما هو مخصَّصٌ للرَّبِّ للمباركة، أو للإبادة"–. ثمّ تمَّ تنفيذ ذلك بحذافيرِهِ: « **وحرَّموا كلَّ ما في المدينة من رجلٍ وامرأةٍ، من طفلٍ وشيخٍ حتّى البقرَ والغنمَ والحميرَ بحدّ السيف**» (يشوع 6: 21) وورد في شأن مدينة "**عاي**" الآتي: « **فكان جميع الذين سقطوا في ذلك اليوم من رجال ونساء اثني عشر ألفاً جميعُ أهل عاي**» (يشوع 8: 25). وليست عاي المدينة الوحيدة التي فُعل بها هكذا، بل قبلها أريحا، وبعدها مدنُ: مقيدة، ولبنة، ولخيش، وجازر، وعجلون، وحبرون، ودبير، وحاصور؛ كلُّهنَّ ذُقن نفس الإهلاك.

وورد أنّ من آخر أعمال موسى قبل موته إرساله جيشًا، قوامه اثنا عشر ألف لينتقم من الـ: "**مديانيين**" قالوا: «**فتجنّدوا على مديان كما أمر الرّب وقتلوا كلَّ ذكرٍ. وملوكَ مديان قتلوهم فوق قتلاهم: "أويَ" و"راقم" و"صور" و"حور" و"رابع" خمسة ملوك مديان. وبلعام بن بعور قتلوه بالسّيف. وسبى بنو إسرائيل نساء مديان، وأطفالهم، ونهبوا جميع بهائمهم، وجميع مواشيهم، وكلَّ أملاكهم. وأحرقوا جميع مدنهم بمساكنهم، وجميع حصونهم بالنّار (...) فسخط موسى على وكلاء الجيش – رؤساء الألوف، ورؤساء المئات– القادمين من جند الحرب. وقال لهم موسى: « هل أبقيتم كلّ أنثى حيّةً؟ إنّ هؤلاء كنَّ لبني إسرائيل، حسب كلام بلعام، سبب خيانةٍ للرَّبِّ في أمر "فغور" فكان الوباء في جماعة الرّب. فالآن اقتلوا كلّ ذكرٍ من الأطفال. وكلّ امرأة عرفت رجلا بمضاجعةِ ذكرٍ أقتلوها؛ لكن جميع الأطفال من النّساء اللّواتي لم يعرفن مضاجعة ذكر أبقوهنَّ لكم حيّاتٍ**»» (العدد 31: 7-10، 14-18). وفيه كذلك: « **وأخرجَ [أي داود] الشعبَ الذي بها [أي مدينة رَبَّةَ] ونَشَرَهُم بالمناشير، ونوارجِ حديدٍ وفؤوسٍ؛ وهكذا صنع داود لكلِّ مدن بني عَمُّون**» (1 أخبار الأيَّام 20: 3).

5/ نهاية الحرب ومفهوم السلام في اليهودية هو سلام شعب إسرائيل؛ ولا عبرةَ بغيرهم؛ وردَ في سفر هوشع على لسان الرَّبِّ: « **وَأَقْطَعُ لَهُمْ عَهْدًا فِي ذلِكَ الْيَوْمِ مَعَ حَيَوَانِ الْبَرِّيَّةِ وَطُيُورِ السَّمَاءِ وَدَبَّابَاتِ الأَرْضِ، وَأَكْسِرُ الْقَوْسَ وَالسَّيْفَ وَالْحَرْبَ مِنَ الأَرْضِ، وَأَجْعَلُهُمْ يَضْطَجِعُونَ آمِنِينَ**» (هوشع 2: 18). وفي نصٍّ آخرَ: « **فَأَرَاحَهُمُ الرَّبُّ حَوَالَيْهِمْ حَسَبَ كُلِّ مَا أَقْسَمَ لآبَائِهِمْ، وَلَمْ يَقِفْ قُدَّامَهُمْ رَجُلٌ مِنْ جَمِيعِ أَعْدَائِهِمْ، بَلْ دَفَعَ الرَّبُّ جَمِيعَ أَعْدَائِهِمْ بِأَيْدِيهِمْ.**» (يشوع21: 44).

وفي سفر التثنية نهيٌ عن قطع العهد لمجموعةٍ من الشعوب، بل تكون الإبادةُ مصيرَها: « **متى أتى بك الرَّبُّ إلهُك إلى الأرض التي أنت داخلٌ إليها لتمتلكها؛ وطرَدَ شعوبًا كثيرةً من أمامك: الحِثِّيين، والجِرشَانيّين، والأَمُوريّين، والكنعانيّين، والفِرِزِّيّين، والحِوِّيّين، واليَبُوسيّين، سبعَ شعوبٍ أكثرَ وأعظمَ منك؛ ودفعهم الرَّبُّ إلهُكَ أمامك، وضربتَهُم، فإنَّك تُحَرِّمُهُم. لا تقطع لهم عهدًا، ولا تُشفقْ عليهم، ولا تُصاهِرْهُم، بنتَكَ لا تُعطِ لابنه، وبنتَهُ لا تأخذ لابنك**» (تثنية 7: 1-3).

وورد كذلك القولُ المقدَّس: « **هكذا يقول ربُّ الجنود: ... فالآن اذْهَبْ، واضرِبْ عماليقَ؛ وحرِّموا كلَّ ما لَهُ. ولا تعفُ عنهم؛ بل أُقتُلْ: رجلًا وامرأةً؛ طفلًا ورضيعًا؛ بقرًا وغنمًا؛ جَمَلًا وحمارًا**» (1 صموئيل15: 2-3).

وعلى ذلك يمكن أن نقول مع من قال (لجنة من المعرّبين، 2008، ص 259): "إنَّ التطلُّعات التي أتاحها عهد سيناء ليست تطلُّعات سلامٍ، وإنَّما تقوم على قتالٍ؛ فالله يعطي شعبَهُ وطنًا، ولكن على هذا الشعب أن يغزوَ غزوًا. إنَّها حربٌ هجوميَّةٌ، وهي مقدَّسةٌ؛ ولها ما يبرّرها في تطلُّعات العهد القديم: كنعان بحضارته الفاسدة المقرونة بعبادةٍ لقوى الطبيعة يُشكِّل فخًّا لإسرائيل؛ ولذا يوافق الله على إفنائِهِ. وهكذا تُصبح حروب إسرائيل القوميَّة حروبَ الله". وهذا يلزم النَّصارى كذلك لأنَّهم يؤمنون بكتاب اليهود التناخ ويسمُّونه: "العهد القديم" في مقابل: "العهد الجديد" الذي هو القسم الآخر من كتابهم المقدَّس.

2. الحرب في المسيحية بين دو افعها وإنهائها من خلال نصوصها الدِّينيَّة

وبتتبُّع النُّصوص الدِّينيَّة المسيحية لا نجد تبريرًا واضحًا للحرب وللقتال وللسيف؛ بل نجد النُّصوص عن المسيح عليه السلام ترفض مجابهة الشرّ إلَّا بالحبّ واللِّين وبالمبالغة فيهما.

ولننظر في النُّصوص الآتية:

1/ عند لحظة إلقاء القبض على المسيح عليه السلام، من أجل صلبه –كما يزعمون– ورد الآتي: « **حينئذٍ تقدَّموا وألقوا الأيادي على يسوع، وأمسكوه. وإذا واحدٌ من الَّذين مع يسوع مدَّ يده واستلَّ سيفَهُ، وضرب عبد رئيس الكهنة، فقطع أذنه. فقال له يسوع: رُدَّ سيفَكَ إلى مكانه؛ لأنَّ كلَّ الَّذين يأخذون السَّيفَ بالسَّيفِ يهلكون**» (متَّى 26: 50-52. وانظر مرقس 14: 47. وكذا: لوقا 22: 49؛ وفيه: « ولمس [أي يسوع] أذْنَهُ وأبرأها»).

2/ في الموعظة على الجبل الشهيرة، التي خاطب فيها المسيح عليه السلام جموع النَّاس تتضح خطوط تلك السلمية بشكلٍ واضح كقوله: «**طوبى للمساكين بالرُّوح، لأنَّ لهم ملكوت السَّماوات؛ طوبى للحَزَانَى لأنَّهم يتعزَّون؛ طوبى للوُدَعاء، لأنَّهم يرثون الأرض؛ طوبى للجِياع والعِطاشِ إلى البِرّ، لأنَّهم يُشبَعون؛ طوبى للرُّحماء، لأنَّهم يُرحمون؛ طوبى للأنقياء القلب، لأنَّهم يُعاينون الله؛ طوبى لصانعي السَّلام، لأنَّهم أبناء الله يُدعون؛ طوبى للمطرودين من أجل البِرّ، لأنَّ لهم ملكوت السَّماوات. طوبى لكم**

إذا عَيَّرُوكم، وطردوكم، وقالوا كلَّ كلمةٍ شِرّيرةٍ من أجلي كاذِبين» (متَّى 5: 3-11). وقال كذلك فيها: « **سمعتم أنّه قِيل للقُدماء: لا تقتُل! ومن قتل يكون مستوجِبَ الحُكم؛ وأمَّا أنا فأقول لكم: إنَّ كلَّ من يَغضبُ على أخيه باطِلاً يكون مستوجِبَ الحُكم»** (متَّى 5: 21- 22). وفيها كذلك: « **سمِعتُم أنَّهُ قيل: عينٌ بعينٍ، وسِنٌّ بسنٍّ؛ وأمَّا أنا فأقول لكم: لا تُقاوِموا الشَّرَّ، بل من لطمك على خدِّك الأيمن فحوِّل له الآخرَ أيضاً؛ ومن أراد أن يُخاصِمَكَ ويأخُذَ ثوبَكَ فاترُك له الرِّداءَ أيضاً؛ ومن سخَّرك ميلاً واحِداً، فاذهب معه اثنين؛ ومن سألَكَ فأعطِهِ، ومن أرادَ أن يقترِضَ منك فلا ترُدَّهُ»** (متَّى 5: **38-42**). وقال فيها أيضًا: « **سمعتُم أنَّهُ قيل: تُحِبُّ قريبَكَ، وتُبغِضُ عدُوَّكَ؛ وأمَّا أنا فأقول لكم: أحِبُّوا أعداءكم، باركِوا لاعِنِيكم، وصلُّوا لأجل الذين يُسِيئون إليكم ويطرُدُونكم، لكي تكونوا أبناءَ أبيكم الذي في السَّماوات: فإنَّهُ يُشرِقُ شمسَهُ على الأشرار والصَّالحين، ويُمطِرُ على الأبرار والظَّالمين. لأنَّه إن أحببتم الذين يحبُّونكم، فأيُّ أجرٍ لكم؟ أليس العشَّارون أيضًا يفعلون ذلك؟ وإن سلَّمتُم على إخوتكم فقط، فأيَّ فضلٍ تصنعون؟ أليس العشَّارون أيضًا يفعلون هكذا؟ فإنَّه إن غفرتم للنَّاس زلاَّتهم، يغفِر لكم أيضاً أبوكم السَّماوي؛ وإن لم تغفروا للنَّاس زلاَّتِهم، لا يغفر لكم أبوكم أيضاً زلاَّتِكم»** (متَّى 5: 43- 48؛ 6: 14). « **لكي تكونوا أبناءَ أبيكم الذي في السَّماوات: فإنَّهُ يُشرِقُ شمسَهُ على الأشرار والصَّالحين، ويُمطِرُ على الأبرار والظَّالمين»** (متَّى 5: 45).

3/ ورد في البشارة بالمسيح عليه السلام: «**لأنَّهُ يولد لنا ولدٌ، ونعطى ابنًا؛ وتكون الرياسة على كتفه؛ ويدعى اسمه عجيبًا مشيرًا، إلهًا قديرًا؛ أبًا أبَديًّا؛ رئيس السلام**» (إشعيا 9: 6).

4/ يذكر الكتاب المقدَّس عن المسيح عليه السلام أنَّه قال لأتباعه عن رسالته: « **سلامًا أترُكُ لكم، سلامي أعطيكُم؛ ليس كما يعطي العالم أعطيكم أنا؛ لا تضطربْ قلوبُكم ولا ترهب**» (يوحنا 14: 27).

5/ ورد كذلك في نصوصهم أنَّ المسيح عليه السلام أوصاهم قبل صلبه – على ما يصفون- ألَّا يرفعوا سيفًا: « **حينئذٍ تقدَّموا وألقوا الأيادي على يسوع، وأمسكوه. وإذا واحدٌ من الَّذين مع يسوع مدَّ يده واستلَّ سيفه، وضرب عبدَ رئيس الكهنة، فقطع أذنه. فقال له يسوع: رُدَّ سيفَكَ إلى مكانه؛ لأنَّ كلَّ الَّذين يأخذون السَّيفَ بالسَّيفِ يهلكون**» (متَّى 26: 50-52. وانظر مرقس 14: 47. وكذا: لوقا 22: 49؛ وفيه: « ولمس [أي يسوع] أذْنَهُ وأبرأها»).

في المسيحيَّة إذن لم يظهر فيها مفهوم الـ "**الحرب المقدَّسة**" مبكِّرًا؛ ولم يوجد في النَّصِّ الدِّينيّ، وفي القرون الميلادية الثلاثة الأولى حيث لم يكن للمسيحيّين شوكةٌ في الإمبراطوريَّة الرومانيَّة، عاشوا اضطهادات عنيفة وبليغة؛ وبعد أن دالت لهم الدولة صاروا يقاتلون باسم الدِّين من دون نطق النَّصِّ به. يتحدَّث "**جان فلوري**" – بعد أن بيَّن كيف كانت الفتوحات الإسلاميَّة تمتدُّ خلال القرنين الثامن والتاسع على حساب الإمبراطوريَّة الرومانيَّة، أو الممالك المسيحيَّة التي أعقبتها- قال: وحينذاك، كانت المجابهة المسلَّحة ما بين المسيحيَّة والإسلام هي بالتأكيد السببَ الوحيدَ لتطوُّر نظرة الكنيسة في شأن الحرب المقدَّسة. والجهاد وحدَهُ لم يولِّد هذه الحربَ المقدَّسةَ؛ فقد سبق لهذا التطوُّر أن بدأ قبل ظهور الإسلام بكثيرٍ؛ أي في مطلع القرن الرابع، منذ عهد الإمبراطور قسطنطين؛ حينما صارت الإمبراطوريَّة الرُّومانيَّة مسيحيَّةً بدءًا من رأسها؛ فتوجَّب الدفاع عنها ضدَّ المجتاحين البرابرة الذين شرعوا منذ أمدٍ بعيدٍ يهدِّدون تخومَها. وحينذاك تمَّ تبريرُ الحرب الدفاعيَّة على يد اللَّاهوتيّين، وعلماء الأخلاق، دون أن توصف بسبب ذلك بأنَّها مقدَّسة. (فلوري، 2004، صفحة 5-6).

هذا وثمَّة بضعة نصوصٍ قد تشير إلى السيف أو مجابهة الشر؛ ولكنَّ تأويلها لديهم على الحرب الروحية لا الماديَّة؛ كالآتي:

1/ ورد في إنجيل متَّى على لسان المسيح عليه السلام قولُهُ: « **لا تظنُّوا أنِّي جئت لألقي سلامًا على الأرض، ما جئتُ لألقي سلامًا بل سيفًا. فإنِّي جئت لأفرِّق الإنسان ضدَّ أبيه، والابنة ضدَّ أمِّها، والكنَّة ضدَّ حماتها**». ثمَّ يقول: « **من أحبَّ أبًا، أو أمًّا أكثر منِّي، فلا يستحقُّني**»... فكلمة: "**سيف**" الوارد ذكرها في قوله، هي كلمةٌ مجازيَّةٌ –حسب مسيحيين– ذكرها المسيح في معرض حديثه عن الصعوبات التي تلاقيها رسالة الإنجيل في طريقها إلى قلوب النَّاس. وليس المقصود بكلمة: "**سلامًا**" السلام السياسي؛ ولا بكلمة: "**سيفًا**" السيفُ الذي يستعمل في الحروب... وهو كنايةٌ عن الحرب الرُّوحيَّة التي لا بدَّ أن تستمرَّ، وتشتدَّ في وجه الشَّيطان، وكلِّ أعماله؛ إلى أن يتغلَّب الخير على الشرِّ؛ وتتغلَّب إرادة الله على إرادة الشيطان؛ حينئذٍ يسود السلام، ويعمُّ الفرح في النفوس، والطمأنينة في القلوب (المركز اللوثري، دت، ج1، ص 123-125). فالأمر إذن يتراوح ما بين مشروعيَّة القتال عندهم، ومنعها معًا.

والنَّصارى يركِّزون على نهاية الشيطان –كرمزٍ للصِّراع الدائر فوق الأرض– والتي تعدُّ الحلقة الأخيرة من المخطَّط الخلاصي؛ حيث إنَّه (نخبة من الأساتذة واللاهوتيين، 2000، صفحة 535): "سيُقبض عليه ويقيّد بالسلسلة، ويطرح في الهاوية ويُختَم عليه، لكي لا يُضلَّ الأمم فيما بعد؛ وفي النّهاية يطرح في بحيرة النّار والكبريت؛ ويعذَّب نهارًا وليلاً إلى أبد الآبدين".

2/ ما ورد أنَّ المسيح عليه السلام قال: « **أمَّا أعدائي، أولئك الَّذين لم يريدوا أن أملك عليهم، فأْتُوا بهم إلى هنا، واذبحوهم قدَّامي**» (لوقا 19: 27).

3/ وكذا قوله: « **من ليس معي فهو عليَّ؛ ومن لا يجمعُ معي، فهو يفرِّقُ**» (لوقا 11: 23).

4/ وكذلك قوله في هذه الفقرة: « **لكن الآن: من له كيسٌ، فليأخذهُ، ومزودٌ كذلك. من ليس لهُ، فلْيَبِعْ ثوبَهُ، ويشترِ سيْفًا**»(لوقا 22: 36).

ونعتقد أنَّ النصوص الثلاث الأخيرة –وآخرُها بخاصَّة– غيرُ يسيرِ التأويل؛ ومثلُها المشهد الأخيري – الأبوكاليبس– الوارد في آخر أسفار الكتاب المقدَّس المعنون بـ: "**سفر الرؤيا**" أو "**المشاهدات**" لكاتبه: "**يوحنا اللَّاهوتي**" والذي يتحدَّث عن قتال المسيحيين أعداء المسيح وانتصارهم عليهم؛ ويرى المسيحيُّون بحسب "**سفر الرؤيا**" ملحمةً كبرى – يختلفون في تفسيراتها وتفصيلاتها– تدعى معركة: "**هرمجدون**" بينهم وبين أعداء المسيح؛ ويرى بعضهم (ميخائيل، 2011، صفحة710) أنَّه "بعد إبادة الرَّب للأعداء من على وجه الأرض، وإجرائه لدينونة الأحياء؛ بعد ذلك لا يبقى في الأرض إلَّا الأتقياء". ليعيشوا ألف سنة سعيدة. يقول "**دون فلمنج**" (فلمنج، 2004، صفحة 840): " سيعود المسيح في وقتٍ معيَّنٍ من قِبَلِ الله، ليعاقبَ أعداءَهُ، وينقذ شعبه. وسيأتي بعصر السلام، والفرح الأبديَّين".

وفي ربطٍ بين الصورتين اللَّتين ترسمهما النُّصوص جميعًا وجَّه " **ألبير بايه**" انتقاداتٍ، حاول من خلالها أن يرفع التسامح عن قول يسوع وفعله؛ يقول عن بدايات الموعظة فوق الجبل في قول المسيح: « **سمعتم أنّه قِيل للقُدماء: لا تقتُل! ومن قتل يكون مستوجِبَ الحُكم؛ وأمَّا أنا فأقول لكم: إنَّ كلَّ من يَغضبُ على أخيه باطِلاً يكون مستوجِبَ الحُكم**» (متَّى 5: 21- 22): (ألبير، دت، صفحة 65) "وعلى هذا النحو نجد أنَّ يسوع لا يقتصِرُ على الامتناع عن رفض قانون الإعدام؛ بل إنَّه يقدِّر أنَّ التَّشريع العتيق مسرفُ اللِّين". ثمَّ أردف قائلًا: لنضف إلى ما سبق: "**مثل الكرَّامين القتلة**"؛ حيث يستعيض صاحب الكرمة عن

العفو عنهم بأن « **يُهلك هؤلاء الأردياء رديًّا**» (متّى 21: 41). وفي أمثولة " **الوليمة**"، غَضِبَ الملكُ، وأرسل جنودَهُ وأهلك أولئك القَتَلة، وأحرق مدينتهم. وفي أمثولة "**العبيد**" يفاجئ السيّدُ العبدَ الردي، « **فيقطعُهُ**» (ألبير، دت، صفحة 65).

ليخلص في الأخير إلى تقرير تناقضٍ، ترسمه صورتان ليسوع: "هنا يسوع ابن الآب الذي «**تشرق شمسُهُ على الأشرار والصالحين، ويمطر على الأبرار والظالمين**» (متّى 5: 45). وإنَّ يسوع ليُعرِّض نفسه للاضطهاد، ويرفض الدفاع عن نفسه قائلًا فوق الصَّليب: يا أبتاه، اغفر لهم. وهناك يسوع: ملكٌ حانِقٌ يسحق أعداءَهُ؛ ويرسل جنوده ضدَّهم؛ ويُقطِّع عبيدَه؛ ويعلن في أورشليم عن أيَّام الانتقام وانتصار السيف؛ ويطلب من الفقير "**لعازر**" أن يسمع إلى الأبد – دون أن يتأثَّر– صراخَ المدينين"(ألبير، دت، صفحة 68).

وإنَّ النُّصوصَ المسيحيَّة المتحدِّثة عن الوداعة والمسالمة وعدم مجابهة الشرِّ بالشرِّ هي ذاتُها التي يمكن للمسيحيّين الاستشهادُ بها على إنهاء الحرب؛ وإنَّما المشكلة هي أنَّ المسيحيّين لمَّا برَّروا الحرب لاهوتيًّا ضدَّ جميع من لم يؤمن بيسوع المسيح؛ لم يستصحبوا النصوص الأصلية المسالمة لا في أخلاقيَّات الحرب ولا في إنهائها وتجنُّب ويلاتها.

ولتتبُّع الشواهد السابقة في كلام "**ألبير بايه**" نقول إنَّ مثل الكرَّامين القتلَة ورد في متّى 21: 33-41. ونصُّه: «اِسمعُوا مثلًا آخرَ: كان إنسانٌ ربُّ بيتٍ غرس كرمًا؛ وأحاطه بسياجٍ، وحفر فيه معصرةً، وبنى برجًا؛ وسلَّمه إلى كرَّامين وسافر. ولمَّا قرُبَ وقت الأثمار، أرسل عبيدَهُ إلى الكرَّامين ليأخذ أثماره. فأخذَ الكرَّامونَ عبيدَهُ، وجلدوا بعضًا، وقتلوا بعضًا، ورجموا بعضًا. ثم أرسل أيضًا عبيدًا آخرين أكثرَ من الأوَّلين، ففعلوا بهم كذلك. فأخيرًا أرسل إليهم ابنَهُ قائلًا: يهابون ابني. وأمَّا الكرَّامون فلمَّا رأوا الابنَ قالوا فيما بينهم: "هذا هو الوارثُ، هلمُّوا نقتله ونأخذ ميراثه. فأخذوه وأخرجوه خارج الكرم وقتلوهُ. فمتى جاء صاحب الكرم، ماذا يفعل بأولئك الكرَّامينَ؟ قالوا له: "أولئك الأردياءُ يهلكُهُمْ هلاكًا رَدِيًّا؛ ويُسلِّمُ الكرمَ إلى كرَّامينَ آخرينَ، يعطونَهُ الأثمارَ في أوقاتها"».

وأمَّا أمثولةُ الوليمة فقد وردت في متّى 22: 1-7؛ والنَّص كالآتي: «وجعل يسوعُ يكلِّمهم أيضًا بأمثالٍ قائلًا: يُشبه ملكوت السَّموات إنسانًا ملكًا صنع عُرسًا لابنِهِ؛ وأرسل عبيدَهُ ليدعُوا المدعوّين إلى العرس؛ فلم يريدوا أن يأتوا. فأرسل عبيدًا آخرينَ قائلًا: قولوا للمدعوّين: هوذا غَدائي أعددتُهُ، ثِيراني ومُسمَّناتي قد ذُبِحت؛ وكلُّ شيءٍ معدٌّ؛ تعالوا إلى العرس. ولكنَّهم تهاونوا ومَضَوا: واحدٌ إلى حقلِهِ، وآخرُ إلى تجارته، والباقون أمسكوا عبيدَهُ، وشتموهم، وقتلوهم. فلمَّا سمع الملك غضب وأرسل جنودَهُ؛ وأهلكَ أولئك القاتلينَ، وأحرق مدينَتَهم».

وأمَّا أمثولة العبيد، ففي: متّى 24: 45- 50؛ ونصُّه المستشهد به كالآتي: « فمن هو العبد الأمين الحكيم الذي أقامَهُ سيِّدُهُ على خَدَمِهِ ليُعطيَهُم الطَّعام في حينه؟ طوبى لذلك العبد الَّذي إذا جاء سيِّدُهُ يجده يفعل هكذا. الحقَّ أقول لكم: إنَّه يُقيمُهُ على جميع أمواله. ولكن إن قال ذلك العبدُ الرَّديُّ في قلبِهِ: سيِّدي يُبطئُ قُدُومَهُ؛ فيبتدئ يضربُ العبيدَ رفقاءَهُ؛ ويأكل ويشربُ مع السُّكارى. يأتي سيِّدُ ذلك العبد في يومٍ لا ينتظِرُهُ، وفي ساعةٍ لا يعرفها؛ فيُقَطِّعُهُ، ويجعل نصيبَهُ مع المرائينَ؛ هناك يكون البكاءُ، وصريرُ الأسنانِ».

3. الحرب في الإسلام بين دو افعها وإنهائها من خلال نصوصه الدّينية

الحربُ أو القتالُ في القرآن الكريم تقريرٌ لواقعٍ من الاجتماعِ الإنسانيّ؛ فالتدافُعُ بين النَّاس سُنَّةٌ ماضيةٌ في الصراع بين الخير والشرّ، قال تعالى: ﴿ **وَلَوْلَا دَفْعُ اللهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الأَرْضُ وَلَكِنَّ اللهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى العَالَمِينَ**﴾ (البقرة: 251). ويمكننا أن نرى تصويرَ ذلك في التَّوراة منذ بدءِ تشكُّلِ أمَّة موسى عليه السلام؛ والذي كانت شريعتُهُ شريعةَ عدلٍ؛ أمَّا المسيح عيسى عليه السلام والذي كان حاكمًا بالتوراة، ناسخًا لبعضِها؛ فكانت شريعتُهُ شريعةَ فضلٍ؛ وترى بقايا منها في الأناجيل المتداولةِ بين أيدي المسيحيّين إلى اليوم؛ إذ نجدها تصوِّر المسيح عليه السَّلام ناهيًا عن دفع الشرّ بالشرّ، ودفع القوَّةِ بالقوّة، بل باللّين فقط. وهذا إن يصلح بعض الزمان دون بعضٍ، أو مع أقوامٍ دون آخرين، فلا يصلح الزمانَ كلَّهُ، ولا مع النَّاس جميعًا. وإنَّما صلُحت شِرْعةُ الإسلام لكلِّ زمانٍ ومكانٍ حين أوجبت العدلَ، وندبت إلى الفضل؛ ففيها القتالُ عدلًا؛ والجُنُوحُ إلى السَّلَمِ –إذ جنح له الآخرُ– فضلًا.

وبتتبُّع نصوص القرآن الكريم نقف على بعضِ الآتي:

1/ المسلمون مأمورون بقتال من يقاتلهم: ﴿**وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً كَمَا يُقَاتِلُونَكُمْ كَافَّةً**﴾ (التَّوبة: 36).

2/ القتال محوطٌ بضوابط عدم الاعتداء وإنَّما مقابلة الأعداء بالمثل: ﴿**وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ. وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ وَأَخْرِجُوهُمْ مِنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْ وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ وَلا تُقَاتِلُوهُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ حَتَّى يُقَاتِلُوكُمْ فِيهِ فَإِنْ قَاتَلُوكُمْ فَاقْتُلُوهُمْ كَذَلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ. فَإِنِ انْتَهَوْا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ. وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ فَإِنِ انْتَهَوْا فَلا عُدْوَانَ إِلا عَلَى الظَّالِمِينَ**﴾ (البقرة: 190 -193).

ثمَّ إنَّ السنَّة النبويَّة وسنة الخلفاء الرَّاشدين المهديّين مثالٌ ماثل للعيان عن نُبل المقاصد الجهاديَّة، وكذا شرف وسائلها؛ وهنا نصٌّ عن أبي بكر رضي الله تعالى عنه، يوصي المقاتلين بالكلمات ذاتِها التي كان النبيُّ صلَّى الله عليه وسلم يوصي بها (شاكر، 2000، ج3، صفحة 63-64): « **يا أيُّها النَّاس، قفوا أوصكم بعشرٍ، فاحفظوها عنّي: لا تخونوا ولا تغلُّوا؛ ولا تغدِروا ولا تُمثِّلوا؛ ولا تقتلوا طفلًا صغيرًا، ولا شيخًا كبيرًا، ولا امرأةً؛ ولا تعقِروا نخلًا ولا تحرقوه؛ ولا تقطعوا شجرةً؛ ولا تذبحوا شاةً ولا بقرةً ولا بعيرًا إلَّا لمأكَلَةٍ. وسوف تمرُّون بأقوامٍ قد فَرَّغوا أنفسهم في الصوامع، فدعُوهم وما فرَّغوا أنفسهم له...**». ولا يوجد في النصِّ الدِّيني الإسلامي أمرٌ بذبح الآدمي، أو التَّمثيل به، أو ترويع الآمنين، ولا نحوها من الصور.

3/ المثوبة العظمى هي للقتال دفاعًا عن الحقّ، وعن الدِّين، وعن المستضعفين، وليس عن حبِّ إراقة الدِّماء؛ مع العلم أنَّ الآيات القرآنيَّة تتحدَّث عن القتال، وهو بين طرفين متحاربين متفاعلين بعضهما مع بعض؛ قال الله تعالى في كلِّ ذلك: ﴿**فَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَأُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأُوذُوا فِي سَبِيلِي وَقَاتَلُوا وَقُتِلُوا لَأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ثَوَابًا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الثَّوَابِ**﴾ (آل عمران: 195).

4/ ثمَّة دعوة إلى تجنيب النَّاس الحرب بالصفح والسماحة وجدال الآخر بالتي هي أحسن، ممَّا من شأنه تهدئة الأحوال؛ قال الله تعالى: ﴿**وَلا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَهُنَا وَإِلَهُكُمْ وَاحِدٌ**﴾ (العنكبوت: 46). وقال عزَّ وجلَّ: ﴿**إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ**﴾ (النحل: 90). و"الصفحُ" من التسامح: ﴿**وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلا بِالْحَقِّ وَإِنَّ السَّاعَةَ لآتِيَةٌ فَاصْفَحِ الصَّفْحَ الْجَمِيلَ**﴾ (الحجر: 85). والإعراض عن الجاهلين منه: ﴿**خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ**﴾ (الأعراف). وكذا الدفع بالتي هي أحسن: ﴿**ادفع بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ السَّيِّئَةَ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَصِفُونَ**﴾ (المؤمنون: 96). وذلك الدفع في حدِّ ذاته يمكنه إحداث نوعٍ من التعايش مع العدوّ: ﴿**ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ وَمَا يُلَقَّاهَا إِلا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلَقَّاهَا إِلا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ**﴾ (فُصِّلت: 34-35). واللِّين والعفو كذلك منه: ﴿**فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ**﴾ (آل عمران: 159).

5/ بعد نشوب الحرب تنتهز الفرص لإيقاف القتال إن كان للعدوّ نيَّةٌ صادقةٌ فيه؛ قال الله تعالى: ﴿**وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ**﴾ (الأنفال: 61)؛ وعلى أساسٍ من هذا شُرع الصلح، والعهد، وعقد الذِّمَّة ونحوها.

6/ الاستعدادُ للقتال ليس لإحداث الدَّمار، وإنَّما للتَّخويف، مع إمكانيَّة تجنُّب القتال؛ وذلك حين يقول الله عزَّ وجلَّ: ﴿**وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ**﴾ (الأنفال: 60).

7/ بقي أن نقول: في الإسلام نجد من ضمن الفتن والملاحم، نهاياتٍ متعلِّقةً بالصِّراعات مع الآخر؛ ومع اليهود، ومع النَّصارى؛ لكن الملاحظة التي نقولها ههنا، هي أنَّ هذه الأمور عبارةٌ عن نبوءات، عبارةٌ عن إخبارٍ عن مستقبلٍ قادمٍ، وليست دعوةً إلى صناعة الصِّراع؛ بل هو حديثٌ عن صراعٍ مفروضٍ، يحسمه أمر الله سبحانه وتعالى لجانب الحقِّ، وكلُّ أهل ديانةٍ يرون أنفسهم أنَّهم الحقُّ وقوَّةُ الخير في مجابهة قِوى الشرِّ.

في مقابل ذلك نجد أنَّ يهودًا ومسيحيِّين – والبروتستانت منهم بخاصَّة- يرون أنَّه لا بدَّ من تأجيج الصراع، حتَّى تتحقَّق تلك النبوءات.

خاتمة:

ونحاول فيها تضمين النتائج الآتية:

1/ في سؤال المشروعيَّة نقول :

في اليهودية بحسب النَّصِّ الدِّيني الربُّ هو الآمر بالحرب والمحدد للمستهدفين بها، والمحدِّدُ لأخلاقيَّاتها والمعين فيها بقدرته ومعجزاته. والأمر عينُه في الإسلام من حيث المبدأ؛ وأمَّا في المسيحية فلا يوجد في النَّصِّ أيُّ دعوة إلى القتال أو الحرب – عدا الحرب الروحيَّة – ولكن بالمقابل فإنَّ المسيحيَّة مُلزَمَةٌ بالنَّصِّ اليهودي الذي تسميه عهدًا قديمًا؛ وهو منسوخٌ بالعهد الجديد.

2/ من حيثُ أخلاقيَّات الحرب؛ فإنَّ النصَّ اليهوديَّ يورد شناعاتٍ لا يمكن بحالٍ تأويلها أو التبرير لها. في المسيحية يُلزمون بما في العهد القديم كما أشرنا آنفًا؛ وأمَّا الإسلام فأخلاقيات القتال فيه نصًّا هي الأعلى في الوجود الإنساني؛ حيثُ القتال واقعٌ لا يمكن دفعُهُ.

3/ من حيث دوافع الحرب نقول: إنَّ الدوافع في اليهودية دينيَّةٌ في الأساس؛ بأمر الربِّ كما شرحنا؛ قتال المخالف المجدِّف على الرَّبِّ، عابدي الأوثان ومرتكبي الرَّجاسات؛ فهم مستحقون للإبادة والإفناء؛ ونشهد تطرُّفًا بعد ذلك حين يتداخل في النَّص مفاهيم الشعب المختار والوعد الأبدي لهم. في المسيحية – كما ذكرنا– لا دوافع في ذلك من خلال النصِّ – بل بُرِّر ذلك في اللاهوت لاحقًا بطريقة تتقارب مع اليهودية أحيانًا ومع الإسلام حينًا آخرَ–. وأمَّا في الإسلام فبالإضافة إلى المبرِّرات الواقعية تنضاف لها المبرِّرات الدِّينيَّة والتي ملخَّصها: " أن تكون كلمة الله هي العليا، وكلمة الذين كفروا هي السفلى."

4/ من حيث سبيل إنهاء الحرب نقول :

في اليهودية حسب نصِّها المقدَّس تُنهى بإفناء الآخر أو بإذلاله واستعباده ونهبه؛ وحسب بعض النُّصوص في أسفار الأنبياء يمكن عقد نوع عهد بشكلٍ ما يكون مؤقَّتًا غالبًا.

في المسيحيَّة يمكنهم أن يستدلوا بالكثير من النُّصوص في العهد الجديد التي تدعوا إلى السلام والمسالمة؛ والتي تنهى عن الحرب ابتداءً.

في الإسلام بحسب القرآن الكريم: تُستدفع الحرب ابتداءً، وتكون الكلمة قبل السيف، ومن سالَمَ دين الإسلام وأهلَهُ سالَمُوه؛ ثمَّ من حاربهم حاربوه ومن اعتدى عليهم اعتدوا عليه وقاتلوه؛ ومن منعهم عن بلاغ النَّاس أزاحوه وأبلغوهم؛ وأرهبوه قبل الحرب حتى لا يحاربوه؛ فإذا جنح من جنح منهم إلى السلم جنحوا له وهم أعزَّةٌ وراية دين الله خفَّاقة.

المصادر والمراجع:

- القرآن الكريم برواية حفصٍ عن عاصم.
- الكتاب المقدَّس: نسخة فان ديك (***Arabic New Van Dyck Bible***)، الإصدار الثالث، (ط4): القاهرة– مصر، 2006م.
- سيحيف، ديفيد، **قاموس سيحيف عبري – عربي**، د.ط، القدس: دار شوكن للنشر، 2008.
- بن شوشان، أبراهام، **قاموس بن شوشان**، د.ط، فلسطين المحتلة، 2010.
- تادرس، يعقوب ملطي، **تفسير سفر التثنية**، د.ط كنيسة مارجرجس، د.س.
- كامل، مراد، **الكتب التَّاريخيَّة في العهد القديم**، معهد البحوث والدراسات العربيَّة، 1968م.
- خلف، غسان، **أضواءٌ على ترجمة: "البستاني– فانديك" – العهد الجديد–**؛ جمعيَّة الكتاب المقدَّس: بيروت– لبنان، 2009م.
- لجنة من المعرِّبين بإشراف المطران أنطونيوس نجيب، **معجم اللاَّهوت الكتابي** (العنوان الأصلي: ***Vocabulaire de Theologie Biblique***)، ط6، دار المشرق: بيروت– لبنان، 2008م.
- فلوري، جان، **الحرب المقدَّسة – الجهاد، الحرب الصَّليبيَّة– (العنف والدِّين في المسيحيَّة والإسلام)**، ترجمة غسَّان مايسو، ط1، دار المدى للثقافة والنشر، والمؤسسة العربيَّة للتَّحديث الفكري: دمشق– سوريا، 2004م.
- **سؤال وجواب: مجموعة أسئلة وأجوبة حول الإيمان والحياة المسيحيَّة**؛ المركز اللُّوثري للخدمات الدِّينيَّة في الشرق الأوسط: بيروت– لبنان.

● نخبة من الأساتذة ذوي الاختصاص ومن اللاَّهوتيّين؛ هيئة التَّحرير: بطرس عبد الملك، جون ألكسندر طمسن، إبراهيم مطر، **قاموس الكتاب المقدّس**، ط13، دار مكتبة العائلة: القاهرة مصر، مطبعة الحرِّيَّة: بيروت– لبنان، 2000م.

● ميخائيل، برسوم، **موسوعة الحقائق الكتابيَّة**؛ مكتبة الأخوَّة: مصر، 2011م.

● فلمنج، دون، **التفسير المعاصر للكتاب المقدَّس**، ترجمة: لجنة التعليم بالكنيسة الإنجيليَّة بقصر الدوبارة، ط1، الكنيسة الإنجيلية بقصر الدوبارة: مصر، 2004م.

● بايه، ألبير، **أخلاق الإنجيل – دراسة سوسيولوجيَّة–**، ترجمة عادل العوا، (لا معلومات أخرى).

● محمَّد شاكر، محمود، **التاريخ الإسلامي**، ط8، المكتب الإسلامي: بيروت، دمشق، عمَّان، 2000م

● Rabbi Josef Telushkin : ***Jewish Literacy – The Most Important Things to Know about The Jewish Religion , its People, and its History*** ; 1st edition, - Harper Collins Publishers : New York-USA, 2007.

● **Jewish Literacy – *The Most Important Things to Know about The Jewish Religion , its People, and its History*** ; op. cit .

● Baumann ،Martin: ***Religions of the World***, Second Edition 2010

● Jordan ،Mark: ***the Invention of Sodomy in Christian Theology***. Chicago IL: University of Chicago 1999

References:

●al-Qur'ān al-Karīm bi-riwāyat ḥfṣin ‘an ‘Āṣim.

●al-Kitāb almqddas, nuskhah Fān Dīk (Arabic New Van Dyck Bible), al-iṣdār al-thālith, (ṭ4) : alqāhrt-Miṣr, 2006m.

●Dīfīd syḥyf, Qāmūs syḥyf ‘Abrī – ‘Arabī, D. Ṭ, (al-Quds : Dār shwkn lil-Nashr 2008.(

● Abrāhām ibn Shūshān, Qāmūs ibn Shūshān, D. Ṭ, (Filasṭīn al-muḥtallah, 2010).

●Tādrus Ya‘qūb Malṭī : tafsīr Sifr al-Tathniyah, D. Ṭ (D. b : Kanīsat mārjws, D. S.(

●Murād Kāmil, al-Kutub alttārykhyaah fī al-‘ahd al-qadīm, Ma‘had al-Buḥūth wa-al-Dirāsāt al‘rbyaah, 1968m.

● Ghassān Khalaf, aḍwā'un ‘alá tarjamat : "albstāny-fāndāyk" – al-‘ahd aljdyd-; jm‘yyah al-Kitāb almqdaas : byrwt-Lubnān, 2009M.

● Lajnat min alm‘rribyn bi-ishrāf al-Muṭrān Anṭūniyūs Najīb, Mu‘jam allāāahwt al-kitābī (al-‘Unwān al-aṣlī : Vocabulaire de Theologie Biblique), ṭ6, Dār al-Mashriq : byrwt-Lubnān, 2008M.

● Jān flwry, al-ḥarb almqdaash – al-jihād, al-ḥarb alṣaalybyaat- (al-‘unf wālddīn fī almsyḥyyah wa-al-Islām), tarjamat ghsaaān māysw, Ṭ1, Dār al-Madá lil-Thaqāfah wa-al-Nashr, wa-al-mu'assasah al‘rbyyah llttaḥdyth al-fikrī : dmshq-Sūriyā, 2004m.

● su'āl wa-jawāb, majmū‘ah as'ilat wa-ajwibah ḥawla al-īmān wa-al-ḥayāh almsyḥyaah ; al-Markaz alllūthry lil-Khidmāt aldiiynyaah fī al-Sharq al-Awsaṭ : byrwt-Lubnān

● nukhbah min al-asātidhah dhawī al-ikhtiṣāṣ wa-man allāāahwtyyīn ; Hay'at alttaḥryr : Buṭrus ‘Abd al-Malik, Jūn Aliksandir ṭmsn, Ibrāhīm Maṭar : Qāmūs al-Kitāb almqdds, (ṭ13), Dār Maktabat al-‘ā'ilah : al-Qāhirah Miṣr, Maṭba‘at alḥrrīyah : byrwt-Lubnān, 2000M.

● Barsūm Mīkhā'īl : Mawsū‘at al-ḥaqā'iq alktābyyah, (dṭ) ; Maktabat al'khwwah : Miṣr, 2011M.

● Dawwin Filiminj : al-tafsīr al-mu‘āṣir lil-Kitāb almqdaas, tarjamat : Lajnat al-Ta‘līm bi-al-Kanīsah al'njylyyah bi-Qaṣr al-Dūbārah, Ṭ1, al-Kanīsah al-Injīlīyah bi-Qaṣr al-Dūbārah : Miṣr, 2004m.

● Albīr bāyh : Akhlāq al-Injīl – dirāsah swsywlwjyyat-, tarjamat ‘Ādil al-‘Awwā, (lā ma‘lūmāt ukhrá).

● Maḥmūd mḥmmad Shākir, al-tārīkh al-Islāmī, ṭ8, al-Maktab al-Islāmī : Bayrūt, Dimashq, ‘maaān, 2000M